> لقد كانت مهمة الفلسفة حتى الآن تفسير العالم ، بينما المطلوب تغييره. ماركس ان الفيلسوف هو الانسان الذي يستيقظ ويتكلم، والانسان يحتوي بصمت على مفارقات الفلسفة، لأنه لكي يكون المرء انساناً فيجب ان يكون اكثر قليلاً واقل قليلاً من الانسان.
>
> ميرلو بونتي

العشب يغني فوق القبور الساكنة

دفاع عن سقراط ضد المدينة

سعد سلوم

كيف تم قتل الفيلسوف؟

((يخاف البشر من الفكر اكثر من اي شيء آخر على الارض، اكثر من الدمار، بل اكثر من الموت ذاته، فالفكر مقوض وثوري، هدام ومخيف، انه عديم الشفقة بالامتيازات والمؤسسات التي وطدها الزمن والعادات المريحة، الفكر فوضوي، خارج على القانون، غير مكترث بالسلطة وغير عابئ بحكمة العصور المجربة، انه يتطلع الى حفرة الجحيم ولا يخاف، ويرى الانسان نقطة ضعيفة محاطة بأعماق لاتحد من السكون، ومع ذلك فأنه يسير في كبرياء، غير عابئ او مكترث وكأنه سيد الكون، الفكر عظيم وسريع وحر، هو نور العالم ومجد الانسان الاعظم))، بهذه الكلمات يعلي برتراند راسل من الفكر جاعلاً اياه اعظم حتى من الايمان.

هذا الايمان بقوة الفكر يهزنا بشدة ونحن نشهد زمن اختفاء الفكر وعصراً يعد بحق هزيمة الفكر، يحزننا ان عالمنا العاصر يشكل امتداداً للعوالم القديمة التي كانت تعامل الفكر بريبة، ومن المضحك ان الناس لا يزالون يخشون الفيلسوف لأنه (بطريقته في الامانة يمكن ان يخونهم)، حسب تعبير ميرلو بونتي.

علينا ان نأخذ بنظر الاعتبار ظاهرة انقراض تلك الكائنات الغريبة البسيطة المعقدة، التي تطلق عليها تسمية (فيلسوف)، ليس لدينا اليوم فلسفة او تفكير نقدي بل يوجد خبراء واصحاب معارف اكاديمية مهمتهم على وجه التحديد حيازة اكبر قدر من العلومات عن موضوع محدد والتباهي بتخصص التخصص. عالمنا انتصر على الفيلسوف بأن جعل التفكير النقدي وعملية عقلنة الواقع (عملاً لا عقلياً)، وكأن تناقضات الواقع القائم يمكن ان يتواطأ العقل في ادراكها دون ان يرسم الطريق لتجاوزها.

بدلاً من ذلك دعونا نعتنق جنوناً آخر ما دامت الاحداث الرهيبة التي تشكل حدوداً فاصلة بين الانعطافات الحادة في تاريخ العالم (احداث 11 ايلول على سبيل المثال) هي نوع من الجنون الذي لا يطوله خيال بشري محدود ولم يتوقعه فيلسوف، ولم يحذر منه فكر بشري.

لانزال نعيش في عالم يصفه مورتن وايت بأنه (يحتقر ذلك المزيج من التقنية وقوة البصيرة التي اشتهر به الفلاسفة العظام كأرسطو وكانت عن جدارة)، هذا العالم يؤله القديس والشاعر والفيلسوف بسبب الحساسية الفريدة التي تميز هؤلاء بإزاء مطلب العدالة الكونية من المنتمين الى جمهورية الرؤية الشاملة القائمة على دستور المساواة على اساس العقل التنويري.

دعونا نتذكر ان ديكارت كان يرى ان العقل هو اعدل الاشياء قسمة بين الناس ولنتذكر ايضاً ان جمهورية العقل لم تقم في يوم من الايام.

بعد اطلاق الرصاص جاء الحكم بالاعدام

يطلق خصوم الفلسفة الرصاص عليها لتكف مذاهبها عن الصراخ بعضها في وجه بعض. يقولون ما اسهل ان ننال من الفلسفة واول تهمة في التعدد والمخاصمة: سقراط وافلاطون ضد السوفسطائيين، الايليون وهيرقليطس وارسطو ضد افلاطون، ديكارت ضد الاسكلائيين المتمسكين بأرسطو، كانت ضد ديكارت، هيجل ضد كانت، كيركغارد ضد هيجل، كونت ضد المذاهب الميتافيزيقية، برغسون ضد الوضعية، التوماويون المحدثون ضد برغسون، الوجودية ضد المذهب الحيوي والهيجلي ودعاة فلسفة الماهية... الخ.

انتظروا قليلاً، فعندما جاء زمن البنيوية بتفنيد المذاهب التي سبقتها، بل اصدرت حكماً بالاعدام على الفلسفة واطلقت رصاصة الرحمة على الفيلسوف ووقعت شهادة لموت الانسان وطالبت بالكف عن طقوس النواح والاحاديث الوهمية للنزعة الانسانية. تقول مدونة شهادة الوفاة: (التقدم ما هو الا مجرد خداع بصري، والمبادرة التاريخية محض سراب، والانسان محاط من كل صوب بـ(غير المتعقل)، فالمنفذ الوحيد امام الانسان هو ان يدع نفسه محمولاً على ظهر النظام، فالانسان في ثورته وفي حركاته الاجتماعية الاخرى ليس سوى مفعول به لا فاعل).

وصاح حراس البنيوية: لتدعنا الفلسفة في سلام لنتخلى عن التفكير ما دام عالمنا يسير دون ارادة منا، لسنا مركز شيء، لسنا حتى مركزاً لأنفسنا، المؤسسات تدير حياتنا، الاحزاب العملاقة تهندس مصائرنا، كل شيء يسير بانتظام ورتابة وفق مخطط يفوق طاقة عقولنا الصغيرة المتحيزة والنسبية، ارفعوا راية الاستسلام، لقد ماتت الفلسفة وليس هناك قبر لها كي تبكوا عنده، وتخلوا عن الفلاسفة فهم نوع منقرض منحط، ولا بأس بأن تحتفظوا بصورهم تذكاراً، وتداولوا افكارهم ذكريات جميلة حين تحنون بالملل.

دفاع امام شاهد قبر الفلسفة

موت الانسان والفلسفة لا يعني سوى الاستخفاف بمصيرنا وعقلنا وغايتنا، ولا يسعنا كمثقفين -اي كأصحاب مسؤوليات اخلاقية نأخذ على عاتقنا الآخر سوى استخلاص النتائج السياسية لذلك. كيف سندافع عن قيم ليس لها وجود، وعن كائن ليس انعكاس واهم نسجه خيال نرجسي لم يعد بالامكان الثقة به، بماذا سنثق اذن؟ بمهندسي اعمار مصائرنا، بتجار الحروب وارادة الشركات متعددة الجنسيات، بدين العولمة الهمبرغري، بالوصفات السحرية لصندوق النقد الدولي، بعلاجات سلستنا الخاضعين لإرادة الهيمنة العالمية؟ الايمكن لكم الاكتفاء بإطلاق رصاصة حقيقية على رأس الانسان، بل لابد من ان تواصلوا نازية اخرى وابادة على الطريقة البنيوية للنوع الانساني، هذه المقبرة الجماعية التي تضم كل اوهام الذات: الله، التاريخ، الانسان، يجب طي صفحتها والانقيم دفاعاً عن قيمها وما تفجره من طاقات وان نرضخ لطروحات الايديولوجيين المبررين لنهاية التاريخ وحتمية صراع الحضارات، ان ايديولوجيات النهاية هذه التي تبرر لسياسة الهيمنة العالمية تؤسس رواجها على ابتعاد الفلسفة عن الحياة وعلى استسلام الانسان الفرد لعدم ايمانه بقدرته وخضوعه لفكرة ان لا ارادة له على تسيير عالمه، واعلان (موت الانسان) ما هو الا تعبير ايديولوجي آخر لا يخدم في المحصلة النهائية سوى ارادة السيطرة ويعكس في نخبية دعاته انفصال الفكر عن الحياة والمعرفة عن الامل اي انفصال الايمان عن الفلسفة والعقل عن القلب اللذين لو اتحدا لخلقتا فلسفة للفعل تغير وجه العالم.

العنف والايمان على مفترق الطرق مع الفلسفة

ليس هناك سبب تاريخي لانقراض الفلاسفة ولاختفاء الفلسفة، فهي لم تزل حاضرة وبقوة، وان يكن حضورها مجرداً، فافلاطون وارسطو وابن رشد وسبينوزا وكانت ونيتشه وهيدجر وسارتر، ما تزال ذاتهم تتقد بين سطور الكلمات، اجيال من الصواريخ والسيارات والموبايلات والنظريات العلمية اندثرت ولاتزال كتب اصدقائنا الحكماء حية، في قاعات الدرس، في جلساتنا الدافئة، حين نتصفح كتاباً اول الليل، او نحاور صديقاً، او نؤرخ لحدث ما، او نفكر في مصير عالمنا.

نريد بشدة ان نعول على فلسفة للوصول الى اتفاق شامل بين البشر حين يعجز الدين عن ذلك، فلسفة لا تنفصل عن الحياة وهموم الشعوب. في كتابه (كيف نصنع المستقبل)، يشير غارودي بانزعاج واضح الى اولئك الفلاسفة المعاصرين ممن يعزلون طلابهم في المدرجات الجامعية بعيداً عن ضجيج الشارع وزلازل الشعوب، ويرى انهم يتجاهلون التفكير النابع مما هو صحيح سياسياً ويعترض على هؤلاء الذين يتخذون من الفلسفة مهنة لهم وينزعون الى اقصاء الواقع اليومي من اجل التأمل على مستوى الوجود المجرد مما يؤدي الى انفصال الفكر عن الحياة. ما اسهل آنئذ ان يتهم الفلاسفة باليوتوبيا والتجريد.

يقول مورتون وايت في كتابه (عصر التحليل)، (ان الانسان النزيه لايستطيع ان يتهم الفلسفة ذاتها بالعجز عن الوصول الى اتفاق شامل حين يحول دون هذا الاتفاق العنف او الايمان)، ويشير وايت بإصبع الاتهام الى القوى السياسية التي تغذي وتتطلب استمرار الهوة بين اساليب الفلاسفة، ويضرب مثالاً على المنع الذي طال الفلاسفة وراء الستار الحديدي عن تبني فلسفة غير المادية الجدلية، كما اشار الى المؤسسات الدينية التي تفرض حدوداً فلسفية على العقائد الفلسفية للمنتسبين اليها.

صوت الصمت يصدح في صحراء ما بعد الحداثة

لسنا- وحدنا ومن دوننا قدرة ندعيها- من نريد ان نؤكد قيمة الانسان في الخطاب الفلسفي والسياسي الراهن، نضع نصب عيننا كل من يبدع خارج الوهم بعد الحداثي في الغرب كمدرسة فرانكفورت التي يرتفع فيها صوت هربرت ماركوز عن جدارة، فقد كرس كتاباته الاولى للدفاع عما يعتبره (النواة العقلانية) للفلسفة القديمة في وجه اللاعقلانية المعاصرة، ودفاعه قائم على ايمانه بأن مهمة الفلسفة هي نقد (ما هو قائم)، فالفلسفة قادرة على ان تزودنا بتقرير عن بنية الفكر في اوقات معينة لأنها تزودنا في الوقت نفسه بنقطة انطلاق تتجاوز حدود اوقات واماكن خاصة وحدود بنى فكرية خاصة.

وفي حين نجد من يهاجم الفلسفة لأنها تعبر بقالب تجريدي - والمجرد حسب نظر ماركس مثلاً، ضار دائماً ومؤذ- يرى ماركوز ان سر قوة الفلسفة انما ينبع من تجريدها من الشيء المحسوس الملموس، هيجل ايضاً يعتقد ان الصيغ الفكرية التي يحددها الفيلسوف هي تلك التي تولد الحضارة، اما الفن والدين والسياسة فإنها كلها خاضعة للمراجعة. وقد حاول ماركوز، في كتابه (الانسان ذو البعد الواحد)، اجتماعية محددة ومن فهم مهمة تغيير هذه الانظمة كلها جزءاً من محتوى الفلسفة، وهي فيما نرى آخر محاولة قام بها فيلسوف معاصر لرفع صوته في صحراء صمت الفلسفة، حيث يطغى ضجيج تقنيات الصناعة واصوات انفجارات القنابل وتسكن تدريجياً اصوات المعذبين المتروكين للموت وحدهم في العراء.

استعادة الامل

يواصل غارودي في (كيف نصنع المستقبل) اعتراضه الذي نلمسه في كتبه السابقة على كل فلسفة تدير ظهرها للحياة، وعلى اولئك الذين يديرون ظهرهم للانسان ويقابلون قيمه بضحك فلسفي محيلين الانسان الى مجرد (قراقوز) يتحرك على المسرح بخيوط البنى، وينبه على انه سيكون امراً عظيم الشأن ان نفهم ان كل فلسفة لاتهيئ الانسان للبحث عن معنى لحياته ولأن يعد نفسه سؤالاً في مجتمع كوني وان يتصرف وفق هذه المبادئ، لاتستحق اسم (فلسفة)، وقد اعاد هذا الى اذهاننا كلماته المشبعة بالامل، التي اختتم بها كتابه (حفار القبور)، ان المستقبل ليس (ماسيكون)، لكن ما سنصنعه.

يدعونا غارودي الى فلسفة للفعل من اجل استعادة الامل واستعادة قدرتنا على تغيير العالم، فهو يؤمن حقاً بأن انجازات المستقبل تبدأ في عقل وقلب البشر، فهل سمعنا هذا النداء؟

فيلسوف مستوحد يتجول في المدينة

نريد ان نواصل مع غارودي الايمان بقدرة العقل الانساني وحاجتنا الى مواصلة الخطاب عن (الانسان) بدلاً من ان نستسلم لتفكيك الانسان والحاقه بفضاء السلطة، في الوقت الذي تفكك فيه الدول الكبرى اقتصاداتنا الوطنية وتلحقها بفضاءات اقتصادية قارية. نريد ان نصوغ دفاعاً عن سقراط ضد المدينة بتمجيد قيمة الانسان بدلاً من تمجيد الفوضى والدمار وحروب الابادة. دعونا نحارب الاعتقاد بأن السائد في الطبيعة هو التشظي - انعكاسه السياسي تشظي القنابل وتمزيقها وجوهنا- دعونا ننحي جانباً خوفنا من ان المصادفة والكوارثية واللاانتظام سابقة على اللوغوس، كما الحرب والتقتيل والارهاب سابقة على التعقل والاحتراز. دعونا نعيد تعريف مهمة الفلسفة وندمج ضمن محتواها الوعي بأزمتنا الكونية، وهي ازمة حضارة وصلت تقنيتها حداً قضى على العقل وشن حروب الابادة مستأصلاً وناسفاً كل منجزات الفكر البشري الاصيلة، وقد لمسنا في الحروب البربرية التي شنت على العراق اسوأ ما في التقنية (موت الانسان على الارض).

لن يدعنا الموت اليومي للانسان وانتهاك حقوقه نتخلى عنه في خطابنا، لن تدعنا اصوات الانفجارات التي تطغى على اصوات المعذبين ان نذعن لإرادة السيطرة، لنواصل هذه الارادة حتى لو اضطررنا الى ان نرتدي مسوح الفيلسوف المتوحد الذي يتجول تائهاً في المدينة، هو لا يقبض عليها في عقله، لكنه لن يدع الجانين يسيطرون عليها ويفضون بها الى بربرية تقنية مروعة معيدين انتاج نازية متطرفة.

قولها لكم مجدداً، فلنؤمن، لنحيا. دعونا نجرؤ على أن نتفلسف

- العنوان مقتبس من بيت لـ ت. س. اليوت في قصيدته (الارض الخراب).

بكاء الشجرة المقدسة

عودة المكبوت الاسطوري

حيدر علي

يلاحظ الباحث في بنية الثقافة الشعبية لأي مجتمع ان المعرفة المسيطرة على عقول الناس هي معرفة فلكلورية، رمزية، يمتزج فيها الخيالي بالاسطوري والايديولوجي بالذاتي (العاطفي)، فتكون الكتلة التاريخية خاضعة خضوعاً لا شعورياً لهذه الثقافة الشعبية، التي تستمد نظامها المعرفي من الدين الشعبي فنرى ان هذا التدين يختلف عن التدين النخبوي الذي يعتمد على ثقافة النص المؤسس للخطاب الاسلامي المتمثل بالنظام الفقهي الذي لا تخالطه الصور الرمزية والخيال الاسطوري. هناك فرق بين التدين الشعبي (الجماهيري) والتدين النخبوي (الرسمي)، لأن التدين الشعبي يخلط بين المقدس والدنيوي على قاعدة التداخل بين النص والمعتقدات والواقع، فيكون هذا التدين اكثر الاشياء قسمة بين دهماء المجتمع الذين يحتاجون الى مداعبات الخيال كما يتسامون ويتعالون عن قهر الواقع وقمعه. يصف جيلز (التدين الشعبي) بأنه (دين الفقراء)، بقوله: (من هم بدون جذور وغير مستقرين ومغتربين، وحيث ما يحتاجونه من (التدين) هو الاندماج والتماثل او الهروب، وذوقهم يميل الى النشوة والاثارة، ومن ثم فإن الانخراط بالنسبة لهم هو بمثابة محاولة لنسيان الواقع الاجتماعي المرير).

ان من الضروري معرفة السياق التاريخي للتدين الشعبي فمن خلال هذه السيرة التاريخية نلاحظ ان هذا التدين نتاج ظروف سياسية واقتصادية وسايكولوجية، تعتنقه جماعات منغلقة ومتقوقعة على نفسها، ولا سيما ان اغلب الجماعات التي (فاقدة لهويتها)، تجد فيه ما يعيد لها توازنها من خلال تمثلها وتماهيها النظام الرأسمال الرمزي اللاشعوري، الذي يعتبر نظام الانظمة في تنظيم حياة هذه الجماعات، التي تستمد نظامها من الخارج. يشير محمد حافظ ذياب الى هذه المسألة، فيقول: (ان تأثيرات الرأسمال الرمزي المرتبط بالتدين الشعبي لا تكمن تاريخياً في فعاليته الادائية فحسب، وانما كذلك في وظائفه الكامنة، تحقيق التوازن المستعاد في الجماعة اكتشاف معنى ما للعالم الرمزي، تأكيد الهوية، القدرة على التلاؤم مع متغيرات العصر، القابلية للجدلية، الانغلاق والانفتاح والمقاومة والاستيعاب، اعادة تضامن الجماعة، تشكيل مقاولات شمولية لتجربة اعضائها وتوارث شحنة اعتقادية عبر اللاوعي الجمعي تقيها من الضربات النافذة الآتية من الطاغية).

الشجرة المقدسة وعبادة الطوطم

ان الدافع الحقيقي وراء كل هذا هو انتشار حكاية الشجرة الباكية على استشهاد الامام الحسين (ع)، عندما ذبح تحتها اكثر من قربان والغريب في الامر ان مجرد انتشار هذه الحكاية في المنطقة التي تقطنها الطبقة الفقيرة من المجتمع التي تملك امكانية تصديق كل ما هو خرافي واسطوري حول هذه الشجرة الى شجرة مباركة (مقدسة) يقصدها الناس من كل صوب ومكان لطلب البركة منها وشفاء المرضى، وحل مشاكل هؤلاء الناس، الامر الذي جعل اهل هذه الشجرة يغلفونها ويسجونها، وربما يعدون جدولاً لأوقات الحكاية في هذه المناطق الشعبية؟ ولماذا هذا التوقيت بالذات؟ ولماذا يستمر الايمان بالنزعة الارواحية، التي تصور الاشياء المادية كالشجر، مسكونة بالارواح، على حد تعبير تايلور؟

يبدو ان الذهن الانساني وبشكل اخص الذهن الشعبي مسكون بمكبوت الاصل الاسطوري للوعي الانساني الذي كان يصفه كارل غوستاف يونج بأنه ذهن وريث للانماط الاصلية الاولى كالانماط البدائية التي كانت تعيش في فزع مستمر من اهوال الطبيعة مقدسة هذه الطبيعة لإعتقادها بأنها تحتوي على قوى روحية تؤثر بها فأنه هذه الطبيعة وانشأ له رموزاً مقدسة يعبدها بين الحين والآخر اسمها (الطوطم).

ان هذه الظاهرة ليست بجديدة على الذهن الانساني، بل انها تمثل عودة المكبوت الاسطوري لصورها وتجلياتها وآثارها، لأن الذهن الانساني معجون بعبادة الاشياء وارواحها (الفتشية)، فلا نستغرب مثل هذه الحكاية او غيرها، ولكن ما يثير الاستغراب والتساؤل هو ان وسائل الاعلام تروج لمثل هذه الحكايات الاسطورية متجاهلة سياقاتها التاريخية والاسطورية واللاهوتية، محتفظة بالنظرة المقدسة الواحدة لها، متجاوزة التفسير العلمي والمنطقي والتاريخي للتحكم بظهور هذه الحكايات، والاغرب من كل هذا اصمت مثقفينا عن نقد هذه الظاهرة والبحث في اساساتها الاسطورية، وكأنهم ليس لهم اعتراض وتعليق!

صادق جلال العظم وبكاء العذراء

اننا لا نقف امام ماهية الظاهرة، قدر ما نبحث في الظروف التاريخية التي تعجل بظهورها كالظروف السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والمجتمع العربي يكاد يتشابه في ظهور حكايات (الخارق) و(المدهش) و(الغريب) و(الغيبي)، لأن النشأة السياسية (السلطوية) والاقتصادية واحدة، وبالتالي ينتج توحد هذه الظروف خطابات متشابهة.

وقد بحث الدكتور صادق جلال العظم في كتابه (نقد الفكر الديني) ظاهرة بكاء تمثال مريم العذراء دماً بعد هزيمة العرب الكبرى في حرب 1967، اذ يصف العظم هذا المشهد من خلال تزاحم الناس للتبرك بها، بل ان التمثال اشفى الاعمى، وجعل المقعد يمشي، وبهذا الحادث امن المجتمع ايماناً عفوياً بالارادة الالهية التي حتمت هذه الهزيمة، وان الآله يمد بعون غيبي (ميتافيزيقي)، فلا بد ان نسلم امرنا لله وحده.

لم يتوقف الامر عند هذا الحد فحسب بل ان عبد الناصر نفسه، برر فشله هذا بالقضاء الالهي، وهذا يعني ان الساسة من مصلحتهم ان تستمر هذه الرؤى، وان يستمر الجهل بين عامة المجتمع، لأن هذا يخلصهم من تحمل المسؤولية، ويبعدهم عند تحديث المجتمعات العربية، وتحويلها ثورياً من خلال نقد بنيته الاسطورية والتقليدية.

هكذا نرى ان هناك من يقف خلف هذه الحكايات لترويجها ونشرها والعمل على ادماجها داخل الخطاب الديني، وداخل كل هذه الحكايات، يعني ظهور طبقة تفرض سيطرتها وتسلطها على رؤوس هؤلاء الساكين، لأن فكر هذه الطبقة هو السائد، وافكار الطبقة السائدة هي افكار الطبقة المسيطرة، على حد تعبير ماركس، كما سيطرت النظرة الغيبية بعد انتكاسة 1967، وهي تحاول الآن ان تسيطر لأن ليس من مصلحة اية قوة سياسية او حزبية او دينية تحديث المجتمع ونشر الفكر العقلاني التنويري على كل اصعدته، والا، لماذا لم ينتقد هذه الظاهرة اي حزب؟ او اي جهة دينية؟ ، ولا اي مثقف؟ لأن هؤلاء كلهم لا يعنيهم ولا يشغلهم تحديث المجتمع وتفجير بناه التقليدية، فيبقى المجتمع محجوباً ومغلفاً بأكثر من حجاب، لطالما ان اساسه لم ينتقد ونقد الاسطورة والفكر العضوي والايمان الساذج المحكوم بمرجعية فلاحية زراعية لاهوتية، شرط لابد من ممارسته كيما يدرك المجتمع حقيقة وجوده ودوره في احداث التغيير المطلوب.

الشجرة بين الاسطورة والدين

من الضروري ان نفهم موقع قداسة الشجرة في ادبيات الاسطورة والدين، حتى نرى كيف ان هناك تناقضاً لتقديس الشجرة المباركة لما تحتله هذه الشجرة من مكانة داخل الطبيعة وداخل الانسان. يكتب خليل احمد خليل في كتابه (مضمون الاسطورة في الفكر العربي) عن تاريخية الشجرة، حتى يرى القارئ ان المسألة ليست الا عودة المكبوت الاسطوري من جديد، فيقول:

(للشجرة قيمة خاصة في المجتمع البدائي والزراعي، والطبيعة تكون مثقلة بقيمة اسطورية او دينية، فالطبيعة اسطورياً ليست هذه الطبيعة العادية، بل هي اكثر من ذلك، والشجرة ليست شجرة عادية فحسب، انها شجرة الكون، شجرة القداسة التي ترمز تارة الى الحياة وتارة الى الحكمة والخلود، والشجرة مقدسة في الاسطورة، لأنها تجسد التجربة الدائمة لتجدد العالم وانبعاثه).

اما الاسطورة العربية فتعطي للشجرة دوراً تبشيرياً صريحاً:

(من عجائب هذا البحر ان فيه جزيرة فيها شجرة تثمر مثل اللوز، وله قشرة، فإذا كسرت خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بقلم القدرة: لا اله الا الله، محمد رسول الله). كما تعطي الشجرة دور الملاذ القدسي الناطق: (فلما سمع زكريا ان ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هارباً في الارض حتى دخل بستاناً عند بيت المقدس فيه الاشجار، فنادته شجرة: يا نبي الله اليّ ههنا، فلما اتاها انفتقت له الشجرة، ودخل زكريا في وسطها).

وفي الحرب سيتحول جذع الشجرة الى سيف: (وقاتل عكاشة .. يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله (ص) فأعطاه جذراً (وهو اصل الشجرة) من حطب فقال:

(قاتل بهذا يا عكاشة) فلما اخذه من رسول الله، هزه فعاد سيفاً في يده، طويل القامة، شديد المتن، ابيض الحديدة، وكان ذلك السيف يسمى (العون)).